مجلة دراسات في الاقتصاد وإدارة الأعمال
ISSN : 2602-6570
المجلد 04 العدد 01 - جوان 2021

مسار التكامل الأوروبي: المضامين الهوياتية للتقدم والانتكاسة

European Integration Process: Identity Implications of Progress and Regress

سهام ركنية[1*]، عادل زقاغ [2]

[1] مخبر الأمن في منطقة المتوسط: إشكالية وحدة وتعدد المضامين، جامعة باتنة1، الجزائر، sihem.roknia@gmail.com

[2] مخبر الأمن في منطقة المتوسط: إشكالية وحدة وتعدد المضامين، جامعة باتنة1، الجزائر، adel.zeggagh@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/08 تاريخ القبول: 2021/06/08

ملخص:

تبحث هذه الورقة البحثية موضوع الهوية الأوروبية في سياق التكامل الأوروبي عبر محاولة لفهم إشكالية الهوية الأوروبية في مواجهة تهديد الهويات الخارجية (الهويات الخاصة بالأقليات والمهاجرين) أو الهويات الإقليمية أو القومية، وتحدد الدراسة كذلك اليمين المتطرف كتهديد في مواجهة الهوية الأوروبية الاندماجية، حيث أصبح هذا الأخير يعبر عن الحاجة إلى العودة إلى الهوية الوطنية/القومية. ومن خلال تحليل الخطابات السائدة، توصلت إلى أن هذه التهديدات تؤثر على الهوية الأوروبية باعتبارها إحدى أهم الركائز التي تعزز مسار التكامل الأوروبي، وعليه يوصى بمنح معامل أكبر للمتغير الهوياتي في الدراسات التي تتناول مستقبل مشروع التكامل الاقتصادي الأوربي.

كلمات مفتاحية: التكامل الأوروبي؛ الهوية الأوروبية؛ أحزاب اليمين المتطرف.

تصنيف JEL: F02

Abstract :

This article examines the issue of European identity in the context of European integration. It analyses the problem of European identity as confronted the threats of external identities, particularly those of minorities and immigrants, as well as regional or national identities. Then, the study identifies the far right as a threat to the European integrative identity, as the latter has come to express the need to return to the national identities. By analyzing the prevailing discourses, It concluded that these aforementioned threats affect the European identity that is one of the most important symbolic pillarssustaining the European integration process, so it recommends to give a larger coefficient for the identity-related variables in the studies dealing with the future of the European economic integration project.

Keywords : European Integration; European Identity; Parties of the far right.

Jel Classification Codes : F02

*المؤلف المرسل.

1.مقدمة

أصبحت الهوية الأوروبية مؤخرا موضوع نقاشات حية في الأوساط السياسية الأوروبية وغيرها، يعكس هذا الإحياء للموضوع بداية فترة جديدة من الصراع حول تعريف الهوية الأوروبية في سياق التكامل الأوروبي، فبين حلم الوحدة وحقيقة الاتحاد يواجه هذا التكامل اليوم إلى جانب الأزمات الاقتصادية والسياسية أزمة هوية هي الأشد منذ نهاية الحرب الباردة، ففي محاولة لفهم إشكالية الهوية الأوروبية في سياق المشروع الاندماجي الأوروبي في مواجهة التهديدات الواردة عليها، حيث ارتبطت إلى حد كبير هذه التهديدات بالظروف الداخلية في القارة وتجلت بوضوح في التهديد القادم جراء التدفق الكبير للمهاجرين داخل الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، وقد شكلت الهجرة قضية شائكة في الخطاب السياسي الأوروبي واعتبرها البعض نسخة جديدة من الغزوات التي تهدد الحضارة والهوية الأوروبية المشتركة، وهو ما قامت بالتسويق له أساسا أحزاب اليمين المتطرف، والتي تنادي وتشدد بعودة الهويات القومية الوطنية كونها ترى في التكامل الأوروبي تهديدا مباشر للهوية الوطنية للأفراد، مما يقودنا إلى طرح إشكالية مفادها: كيف تلعب المتغيرات الهوياتية دورا في الدفع بالمشروع التكاملي الأوربي نحو التقدم أو الانتكاسة؟ وتنطلق الورقة من فرضية مفادها أن تشكل الهويات المناهضة للاتحاد الأوروبي (المهاجرين، الأقليات وأحزاب اليمين المتطرف) يعتبر تهديدا للهوية الأوروبية المشتركة التي تعتبر قوة دافعا لمشروع التكامل الأوربي.

للإجابة على الإشكالية تم الاعتماد على مدخل تحليلي نظمي من خلال المحاور التالية:

أولا: الهوية الأوروبية: دراسة في المفهوم

ثانيا: التهديدات الواردة على الهوية الأوروبية

ثالثا: اليمين المتطرف كمسبب وكرد فعل للازمة الهوياتية الأوروبية

2.الهوية الأوروبية: دراسة في المفهوم

1.2 تشكيل الهوية الأوروبية

في خضم الحديث عن الهوية الأوروبية يميز Pollak جزأين من الهويات الجماعية، احدهما فكري والآخر سياسي، الهوية الفكرية تعني القيم المشتركة والتقاليد وكذلك التوقعات المستقبلية، الهوية السياسية هي "تخريج الهوية الفكرية في الأفعال" فالتصرف هو جزء أساسي من الهوية.

تعرف الهوية السياسية بأهدافها السياسية: تصميم الحكم وتوزيع الحقوق والواجبات، فالهوية السياسية الأصيلة تمثل جميع أجزاء وأعضاء المجتمع، كما تعكس الهويات الفكرية وتطورها في نفس الوقت فتحتاج الهويات الفكرية والخصوصيات الثقافية إلى تحقيقها في الهويات السياسية

والمؤسسات السياسية من أجل تطوير نفسها واستقرارها، وهذا معناه الانتقال بالهوية الأوروبية إلى مستوى أعلى وأوسع تحكمه مؤسسات.

ترتبط الهوية الثقافية والهوية السياسية ارتباطا وثيقا فقد أقرت المفوضية الأوروبية بذلك في برنامج الثقافة عام 2000 بالقول:

"إذا قدم المواطنون دعمهم الكامل للتكامل الأوروبي وشاركوا فيه بشكل كامل، فينبغي التركيز بشكل أكبر على قيمهم الثقافية المشتركة وجذورهم كعنصر أساسي في هويتهم وعضويتهم في مجتمع قائم على الحرية والديمقراطية والتسامح والتضامن وتحقيق توازن أفضل بين الجوانب الاقتصادية والثقافية للمجتمع، بحيث يمكن لهذه الجوانب أن تكمل وتدعم بعضها البعض" (MOKRE, 2002, p. 3).

وقد شكلت معاهدة ماستريخت (1991) تصورا قانونيا جديدا "المواطنة الأوروبية"، ومن الواضح أن الهدف كان إعطاء الأوروبيين إحساسا بالحصرية والانتماء إلى الاتحاد الأوروبي، من خلال هذه المعاهدة قرر رؤساء الدول الأعضاء في الاتحاد تحديد مرحلة جديدة في عملية التكامل الأوروبي التي تم الاضطلاع بها مع إنشاء المجتمعات الأوروبية التي ترغب في تعميق التضامن بين شعوبها مع احترام تاريخهم وثقافتهم وتقاليدهم، قرروا تأسيس جنسية مشتركة لمواطني بلدانهم مصممين على إرساء أسس اتحاد أوثق بين شعوب أوروبا (معاهدة ماستريخت: الديباجة).

من خلال إدخال مادة ثقافية جديدة (المادة 128) في المعاهدات، حصل الاتحاد الأوروبي على أساس قانوني للتدخل في المجال الثقافي، تحدد المادة 128 الأهداف الواردة في الفقرة الأولى:"يساهم المجتمع في ازدهار ثقافات الدول الأعضاء مع احترام تنوعها الوطني والإقليمي وفي نفس الوقت إبراز التراث الثقافي المشترك"، وبالفعل في عام 1973 قررت الدول التسع الأعضاء في المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت لأول مرة تحديد وإعداد وثيقة حول الهوية الأوروبية (Höjelid, 2001, p. 5).

يجسد مجلس أوروبا بأعضائه (47 عضو) الحالية النسخة الأوسع للهوية الأوربية، وهي تشمل أيضا دولتين كبيرتين روسيا وتركيا، اللتين تثيران بعض المشاكل فيما يتعلق بموضوع الهوية الأوروبية لأسباب كثيرة، روسيا بأراضيها الآسيوية الكبيرة ووضعها كقوة عظمى وتركيا ذات الامتداد الآسيوي والهوية الثقافية التي تميزها الاسلاموية عن بقية أوروبا ذات الخلفية المسيحية في الغالب، مما يجعل عملية إدماجها أقل سهولة في النسخة الأكثر إحكاما للهوية الأوروبية.

تعتبر مسألة حقوق الإنسان من أهم المحددات السياسية في مجلس أوروبا، تعطي لتعريف الهوية الأوروبية المجسدة في هذه الاتحاد الأوربي تعريفا فضفاضا، وعلى العكس من ذلك، فان الاتحاد الأوروبي، بنظامه المتطور للغاية للحوكمة المؤسسية، ومجموعة ضخمة من القواعد واللوائح (ما يسمى المكتسبات المشتركة)، والآليات الصارمة لشروط الإنضمام إلى عضويته، يجعله يمنح للهوية الأوربية تعريقا اقصائيا.

وفي الطرف الآخر من المعادلة، يولد الاتحاد الأوروبي مزيدا من الاندماج المكثف لأعضائه، ويتضح هذا بوضوح من خلال تطوير الفكرة والمبدأ القانوني للجنسية الأوروبية (هوية أوروبية مشتركة) (EU) التي تراكمت من خلالها الكثير من الحقوق المواطنية ذات الطابع الأوربي.

وضمن الاتحاد الأوروبي أصبحت فكرة الهوية الأوروبية مرتبطة بمنظمة سياسية أكثر صلابة، والتي كانت بمثابة خطوة مهمة لتعزيز المشروع الأوربي، سيما عندما تكون المؤسسات والجهات الحكومية أو غير الحكومية الفاعلة قادرة ومستعدة على تعزيز هذه المشاعر وتعبئتها لصالح المشروع التكاملي. (Cotta, 2017, p. 3)

2.2 مقومات الهوية الأوروبية

لا شك أنه حتى لو لم يحتضن الاتحاد الأوروبي خلال انطلاقته كل شبر من أوروبا، فإن رسالته ستظل مرتبطة بأوروبا بأكملها، ومن المؤكد أن المكونات والعوامل التاريخية، الثقافية، الاجتماعية والسياسية للهوية الأوروبية التي تربط القارة ببعضها البعض ازدادت أهمية مع نمو الاتحاد بشكل أكبر.

ومع بواكير العصور الوسطى كانت جميع العمليات السياسية في أوروبا مترابطة، وبعدها ظهر تدريجيا نظام معقد من العلاقات بين القبائل والشعوب، السلالات والطبقات، الدول والإمبراطوريات والتي في سياق التغيير المستمر أصبحت أكثر تعقيدا، فنشأت أنظمة هيمنة وانهارت نتيجة الحروب المتكررة، لتتبعها محاولات جديدة لبناء إمبراطوريات أو التعايش وفق تسويات سلمية.

تماما كما يتم تعريف الدول على أنها مجتمعات تاريخ ومصير مشترك، يمكن أيضا القول عن أوروبا ككل أن التاريخ المشترك المدون على امتداد قرون عديدة، أدى إلى ظهور مجتمع مصير مشترك ومترابط في العديد من النواحي، حيث شكل القرب والطبيعة المشتركة لكل من التجربة الفردية والجماعية علاقة خاصة بين شعوب أوروبا والتي كان لها تأثير سواء بوعي أو بغير وعي في تشكيل الهوية، حتى في الأماكن التي أفسح فيها العمل الجماعي الطريق للعداء، حيث

أدى التقارب إلى ترسيم الحدود أو حيث تدهور التعايش إلى تنافس وحرب، في نهاية المطاف تركت التجربة المشتركة بصمة عميقة على الأوروبيين. (Torre, 1999, p. 27)

وعند النظر إلى المعايير الاجتماعية والديموغرافية، تقر الأدبيات أن الأفراد ذوي المستوى التعليمي العالي هم أكثر قدرة على التماشي مع مجتمع كالذي يتصوره الاتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى أن وضعهم الاجتماعي والاقتصادي يسمح لهم بتجربة أفضل للحريات التي يوفرها الاتحاد الأوروبي مثل السفر بحرية داخل حدوده.

يدرك رونالد اينغلهارت Ronald Inglehart أهمية "التعبئةالمعرفية" للأفراد في عملية تحديد الهوية ولكنه يعتبرها غير كافية، إنه يعتبر أن التصرفات الفردية للتماشي مع مجتمع فوق وطني ضرورية أيضا لكنها تعتمد هذه على مستوى التعليم والمعرفة السياسية.

يذهب مؤلفون آخرون إلى أبعد منذلك ويعتبرون أن المعرفة الشاملة بالاتحاد الأوروبي ضرورية أيضًا، وبهذا المعنى فإن برنامج ايراسموس Erasmusالذي يعزز تنقل الطلاب هو فرصة متاحة للشباب الأوروبي لاكتساب المزيد من المعرفة حول أوروبا وثقافاتها المختلفة.

إلى جانب هذه المعايير التي تتبناها المجموعة العلمية على نطاق واسع، يضيف خواندييز ميدرانو عوامل تساعد في تفسير مشاعر الهوية كما يراها المواطنون الأوروبيون.

1. العامل الأول هو ما يسميه المؤلف "البروز"، لكي يتعرف الفرد على مجموعة، يجب أن يكون مرئيًا وملموسًا ويحمل معه معنى، فأولئك الذين حقق لهما الاتحاد الأوروبي درجة كافية من الواقع السياسي هم أكثر عرضة للاعتراف بهوية أوروبية معينة.

2. العامل الثاني هو "الوضع الهيكلي للفئة المحددة بهذا المعنى، فإن السؤال يتعلق بما إذا كانت الفئات التي يحددها الفرد عمودية ومتداخلة أو أفقية وحصرية، إن تصور أن الفرد سيكون لديه من هذه الفئات المختلفة لتحديد الهوية هو بناء اجتماعي.

تنضم هذه النظرية إلى تلك التي أكدتها مارلين بروير، والتي بموجبها يكون لعملية تحديد الهوية وظيفة شاملة ومميزة: من خلال هوياته، سينتمي الفرد إلى مجموعات معينة وسيتم استبعاده من المجموعات الأخرى، في الواقع، ستعمل الهوية الوطنية كتمايز بينما الهوية الأوروبية، كهوية أعلى، ستكون شاملة (Stokkink, 2002, p. 11)

فضلا عن العوامل الاجتماعية والثقافية حيث يمكن النظر إلى أي اختلافات على أنها جوانب عديدة أو تعبيرات فردية عن خلفية مشتركة، تطورت أوروبا إلى منطقة واحدة أيضا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية على الرغم من الاختلافات الملحوظة بين مناطقها المتنوعة، لكن

يجب الإقرار بأن إرساء نمط مماثل من التنمية الاقتصادية ساهم في تأطير "أوربة" الحياة الاجتماعية في معظم أوربا.

وتستند التجربة التاريخية المشتركة إلى درجة كبيرة من الوحدة الثقافية التي كان التنوع للمفارقة جزءا أساسيا منها، هذا التنوع له جذور مشتركة، أي أنه نتاج مزيج من الثقافة اليونانية المتوسطية والتي ساهمت في تجربة العالم القديم كعنصر محافظ واستقرار، من ناحية، والثقافة الجرمانية السلافية القارية التي ساهمت في ديناميكية "الأوربة"، بمكوناتها الثقافية والحضارية الأكثر تجديدا وطموحا وتطلعا للمستقبل.

هناك سلسلة من العناصر يمكن كذلك أن تدخل في التكوين الهوياتي الأوروبي منها الجغرافيا التي تشكل العنصر المادي، فهي لم تمنح أوروبا حدودا معينة ولاسيما اتجاه الشرق.

وعلاوة على دروس التاريخ والاعتبارات الاقتصادية، فإن مسألة مهمة يبدو أنها ساعدت على صياغة المشروع الأوربي: العدو المشترك أو المخاوف المشتركة. (ROLLAND, 1994, p. 436)

3.التهديدات الواردة على الهوية الأوروبية

من المفترض عادة أن يكون للدول هويتها الخاصة والفريدة، وهي مجموعة من العناصر (المادية وغير المادية) التي تحدد بشكل ايجابي ما هي الأمة ومن "نحن"، فيمكن للالتزامات العاطفية أو الغريزية أن تكون قوية لتشكل وجهات نظر اتجاه (الآخر) على حد تعبير Lauren MC Laren، ذلك أن الكراهية تجاه الآخرين(المهاجرين المسلمين وغيرهم) متعلق بالخوف من الثقافات الأخرى وتأثيرها على هوية التكامل الأوروبي.

تتفق هذه العناصر أيضا بشكل سلبي على تمييز الأمة و"نحن" عن الأمم الأخرى و"هم"، من الصعب في بعض الأحيان تحديد إلى أي مدى ساد العنصر الايجابي أو السلبي في تعريف الهويات الوطنية، قد يعتمد هذا أيضا على الاحتمالات التاريخية لبناء الأمة فمن المعروف جيدا إلى أي مدى لعبت القوى الأوروبية الكبرى لسويسرا، كما الألمان بالنسبة للفرنسيين، والنمساويين للايطاليين في القرن التاسع عشر، كما في العديد من الحالات الأخرى، دورا محفزا في التغلب على الهويات المتضاربة داخليا.(Cotta, 2017, p. 02)

1.3الهويات الخاصة بالأقليات والمهاجرين

في الأزمة التي يمر بها الاتحاد الأوروبي اليوم، يبدو أن مسالة اللاجئين والهجرة بشكل عام تلعب دورا مركزيا ضمن الموضوعات الرئيسية التي تبطن مشروع البريكسيت، والتي دفعت عمليا لمغادرة بريطانيا الاتحاد الأوروبي في جوان 2016.

ولا شك أن العداء الذي أثير اليوم بسبب مسالة الهجرة يجد جذوره في الاستخدامات السياسية لمفاهيم مثل "الهوية الوطنية" أو "القيم الغربية"، هذا الخطب لها تاريخ طويل، ولكن يمكن للمرء أن يتساءل عن الأسباب التي تجعلها اليوم واحدة من النقاط الرئيسية لبلورة النقاشات العامة في أوروبا.

سيتم التأكيد هنا على جانبين مهمين: فعلى عكس مجتمعات الهجرة مثل الولايات المتحدة، فإن أوروبا لم تتبن ذاكرة الهجرات التي شكلت القارة، فقد تطورت المناقشات السياسية حول الهجرة على مدى ثلاثين عاما الماضية فقط، ولم تعد تجعلها مسألة حقوق وواجبات بل أصبحت مسالة تمس هوية الأوروبيين ذاتها. (DUNOD, 2017, p. 188)

هنا كعلاقة غير مباشرة بين سياسة الهجرة في الاتحاد الأوروبي والعنصرية وكراهية الأجانب، إن التأكيد على القيود والمراقبة يعني ضمان تصويرًا سلبيًا لمجموعات المهاجرين، وتهدد مثل هذه السياسة بإدامة التعبير العلني عن العنصرية وكراهية الأجانب في السياق السياسي الحالي.

غالبًا ما يكون للمجموعات المستهدفة صلة صريحة بتاريخ الاستعمار الأوروبي و/ أو تعرض تقليديًا للقوالب النمطية العنصرية مثل الغجر، لذلك بغض النظر عن بعض المبادرات الأخيرة لمكافحة العنصرية وكره الأجانب مثل إنشاء مركز مراقبة أوروبي للعنصرية وكراهية الأجانب (HUYSMANS, 2000, p. 765)، يمكن القول أن المواطنين الغربيين يحملون أشكالًا متعددة من المواقف المعادية للإسلام وتتراوح هذه المواقف من شعور عام بالمسلمين إلى تصور المسلمين على أنهم داعمون للمنظمات الإرهابية.

بالإضافة إلى ذلك، تختلف توجهات المواطنين على نطاق واسع عبر خمس دول غربية يمكن اعتمادها كعينة، حيث يُنظر إلى المسلمين بشكل سلبي للغاية في إسبانيا والولايات المتحدة، عندما سُئلوا عن دعم المسلمين للقاعدة، فإن 68% من المواطنين في إسبانيا و54% في الولايات المتحدة لديهم آراء إيجابية.

وتُستخدم إسبانيا كبوابة للاجئين المسلمين من غرب وشمال إفريقيا، وقد تصاعدت موجة المهاجرين غير الشرعيين منذ انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي. ربما أدى العدد المتزايد من مسلمي شمال إفريقيا إلى زيادة المشاعر المعادية للمسلمين بين الاسبان، من ناحية أخرى، فإن تأثير الحادي عشر من سبتمبر و"الحرب على الإرهاب" قد يفسر جزئيا تصور الأمريكيين للمسلمين كإرهابيين.

في المقابل، يبدو أن الرأي العام في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا أقل تقبلا لوجهة النظر القائلة بأن المسلمين يدعمون الإرهاب، والأمر المثير للاهتمام هو أن أقل من ثلث المستطلعين في خمس

دول يعتقدون أن الهوية الإسلامية تؤدي إلى العنف وتصنف على أنها تهديد واضح للهوية الأوروبية (Ciftci, 2012, p. 15).

وفي الخطابات السياسية والإعلامية المهيمنة، يعد المسلمون الأكثر تهديد اللهوية الأوروبية، ولم يستحوذ أي دين آخر على هذا الاهتمام والمركزية في النقاشات والفضاءات العامة، سيما منذ أحداث 11 سبتمبر 2001.

في السابق، في الغرب، وفي أوروبا على وجه الخصوص، كان الإسلام مسألة تخص المتخصصين، وكان يُنظر إلى المسلمين فقط على أنهم مجتمع شعوب مختلفة تمامًا، ولكن لا يطرحون مشاكل معينة، على هذا النحو، فبصرف النظر عن مناقشة الهجرة والاندماج في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، فإن ما يحدث حاليا تحول كبير جعل من نقاشات الهوية متمحورة حول مكانة وهوية الإسلام ومدى تأثيرها على الهوية الأوروبية(Krichen, 2010, p. 25).

2.3 الهويات المناهضة للاتحاد الأوروبي

تختلف وجهات نظر الباحثين حول ظهور القومية العرقية وكونها من الهويات المناهضة للهوية الأوروبية للتكامل الأوروبي، ولكن وفقا لما يلخصه أنطوني سميث Anthony Smith وكذلك المنهج التاريخي (النهج الاثني الرمزي) فإن الأمم لها أصولها في أشكال ما قبل الحداثة من "المنظمات الاجتماعية الثقافية" المسماة "الأعراق" (مصطلح فرنسي للمجموعة العرقية) فكل الدول لها جوهر عرقي مهيمن، فتستند القومية بشكل أساسي على الهويات العرقية السابقة والرموز المرتبطة بتلك الهوية العرقية وينعكس ذلك من خلال الاستخدام المكثف لمصطلحات القرابة للإشارة إلى الأمة.

من ناحية أخرى، يذهب النهج الحداثي إلى أن الإيديولوجية القومية ظهرت كرد فعل للتصنيع واجتثاث الناس من مجتمعاتهم المحلية، فقد استلزم هذا التنقل الجغرافي وأصبح عدد كبير من الناس مشاركين في نفس النظام الاقتصادي، حيث لم تعد إيديولوجية القرابة والدين قادرين على تنظيم الناس بكفاءة(Yosef, p. 39).

ووفقا للقومية العرقية فان الأمة بمضمونها العرقي هي الوحدة الأساسية للتنظيم البشري ولا يكتسب الفرد المواطنة في الدولة، ومن خلال عضوية الفرد في الأمة، فالعضوية هنا وراثية وغالبا ما تتضمن لغة أو دينا مشتركا، حيث تركز القومية العرقية على العودة للوطن كوسيلة رئيسية للحصول على دولة أحادية الثقافة، والهدف هنا هو إقامة ديمقراطية عرقية اثنوقراطية تعطي الأولوية لحماية شعبها (Golder, 2016, p. 480).

على سبيل المثال، تحاول الهوية الفرنسية تحديد المصير القومي لفرنسا مع المصير القومي للحضارة المسيحية حيث يتم الدفاع عنه اليوم بشكل أساسي من قبل الفاعلين السياسيين المقربين من اليمين المتطرف، في غياب تواجد برلماني كبير ستجعل الجبهة الوطنية عيد Jeanne d'Arc منصة يتم فيها التعبير بوضوح عن مفهوم الهوية الوطنية الذي دافع عنه Jean-Marie le Pen، إذ خلال خطابه الأول، اعتبر الزعيم القومي أن الهوية الكاثوليكية للمجتمع الفرنسيهوية تلخص بمفردها شخصية Jeanne d'Arcالتي تعتبر من مكونات هويتها الوطنية، فلا يمكن تحرير الأخير من المرجع الديني الذي يشكله تاريخيا: "في الدستور الحقيقي الحي والروحي والجسدي لبلدنا قيم تفلت من تصميم الأحياء، لأن فرنسا لا تنتمي إلى أولئك الذين يعيشون "هناك" والذين ولدوا "هناك"، ولكن أيضا إلى هذا المليار من الرجال والنساء الذين ولدوا هناك قبلنا، ونحن مسؤولون أمامهم عن الصالح العام، وقبل كل شيء بالطبع، عن استقلال الوطن وسيادة الناس".

إن إعادة تأهيل المعارضة التي أسسها موريس باريز Mourice Barres وتشارلز موراس Charles Maurras بين البلد الحقيقي ودولة القانون كما يعبر كذلك جان ماري لو تسير في اتجاه اعتبار عملية التصديق على معاهدة ماستريخت بمثابة "جريمة ضد الأمة".

ويؤيد خطاب الجبهة الوطنية القبول المغلق للهوية الوطنية: حيث تظل الكاثوليكية الشخصية التي تغلف هذه الهوية الجوهرية، وخلال احتفال في الساحة الأمامية لكاتدرائية ريمس عبر"لو بان" عن هذا التوجه: "مجتمعين في هذا الوطن المقدس رمز تأسيسه، جذوره واستدامته، نقسم بالدفاع عن حريات المواطنين ونقسم بالدفاع عن وحدة أراضينا ونقسم بالدفاع عن السيادة الوطنية لوطننا، والمطالبة لمن خان الحكم بالعقاب على أفعالهم"، وبالتالي فإن الدفاع عن الهوية الوطنية التي تهددها "العولمة" و"التكامل الأوروبي" يفترض في المقام الأول استحضار روح الكاثوليكية للمجتمع الفرنسي" (DÉLOYE, 1994, p. 289).

لكن على الأوروبيين هنا إعادة تعريف هذا "الآخر" الذي تم تشكيل أوروبا ما بعد الحرب ضده، والذي يرونه على أنه تهديد للهوية الأوروبية داخل التكامل الأوروبي، سواء الهويات الخاصة بالمهاجرين (القادمين من خارج أو داخل أوروبا والمسلمين) أو الهويات المناهضة للاتحاد الأوروبي مثل أزمة الهوية الفرنسية أو الانجليزية اللتين تتم مناقشتهما على نطاق واسع في الوقت الحاضر.

4. اليمين المتطرف كمسبب وكردة فعل للازمة الهوياتية الأوروبية:

لقد وجد بعض الذين يوجهون هوياتهم السياسية نحو المستوى الوطني موطنا لأحزاب اليمين المتطرف والتي كان ظهورها احد أهم الاتجاهات السياسية في أوروبا خلال العشرين عاما

الماضية.بالطبع، فإن الارتباطات التاريخية بالديمقراطية الوطنية والرضا عنها في الدول الاسكندينافية والمملكة المتحدة، على سبيل المثال، يمكن أيضا أن تدعم الهويات الوطنية دون ميل الناس إلى الأحزاب البعيدة، حيث تدعم معظم خطابات أحزاب اليمين المتطرف المفهوم العرقي للهوية الوطنية، وعادة ما يعارض مثل هذا المفهوم مجموعات المهاجرين وغيرهم ممن ينظر إليهم على أنهم "غرباء" ينظر إليهم على أنهم تهديد ثقافي .

إن الجاذبية الرئيسية للأحزاب اليمينية المتطرفة هي للأشخاص الذين ظلوا متشبثين بهوية وطنية وربما كانوا الخاسرين في المشروع الاقتصادي والثقافي العالمي الأوروبي يحتفلون بتفردهم العرقي القومي، ويستحضرون التراث المسيحي والتاريخي للمواطنين الأوروبيين كطريقة لتبرير استبعاد المجموعات الخارجية، فتتجلى الرؤية المعارضة الأوروبية في الدعم الانتخابي الأخير لأحزاب اليمين المتطرف في أوروبا الغربية.

تلعب إيديولوجية اليمين المتطرف المعادية للمهاجرين وكراهية الأجانب دورا في الغموض بين الهوية الوطنية والأوروبية، في جوهرها، توجد رؤية لأوروبا كمجموعة من المجتمعات العرقية المرتبطة بحضارة أوروبية مشتركة على غرار شعار Charles de Gaulle في الستينيات: "أوروبا الوطن"، ومع ذلك فان هذه الرؤية مستمدة أيضا من الخوف من الضياع الثقافي والعرقي واللغوي أو التخفيف الذي قد ينتج عن العمليات الثلاث للاندماج والتوسع والهجرة غير الأوروبية، أما بالنسبة، للجزء الأكبر لا ترفض أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا الاتحاد ككل لكنها تخشى فقدان الهوية الوطنية "النقية" إذا تحركت أوروبا نحو نموذج بوتقة تنصهر فيه الهويات (Fligstein, ALINA, & WAYNE, 2012, p. 114).

إن الاهتمام الذي يوليه اليمين المتطرف الألماني والفرنسي للبناء الأوروبي يستجيب قبل كل شيء للمخاوف الانتخابية وهو جزء من إستراتيجية سياسية قصيرة المدى، وبهذا المعنى فإن احتمالية السوق الموحدة الكبيرة أو تحديات معاهدة ماستريخت تشكل فرصة لهذه التشكيلات التي تستغل الفكرة التبسيطية والفعالة، والتي بموجبها تتفاقم التهديدات التي تؤثر على الهوية الوطنية والمتأتية من [المشروع التكاملي].

هذا الإسقاط لأوهام الهوية على المستوى الأوروبي توضحه حاليًا حملة الجبهة الوطنية. ما هي المشاكل التي تعاني منها الأمة؟ الهجرة والبطالة وانعدام الأمن والإرهاب والإيدز، ماذا يقترح التطبيق المحتمل لمعاهدة ماستريخت؟ المزيد من الهجرة؛ و"الحق" في التصويت الممنوح للأجانب؛ والمزيد من الإرهاب وانعدام الأمن مع "المافيا التي ستكون قادرة على الاستقرار بهدوء ورسميًا في

بلدنا"؛ المزيد من البطالة؛ "المزيد المخدرات والمزيد من الإيدز"؛ باسم" البيئة الوطنية "؛ التي انضمت إليها الجبهة الوطنية مؤخرًا للاستفادة من الموجة الخضراء؛ يشتبه أيضًا في أن الجماعة الاقتصادية الأوروبية تشجع تحول فرنسا إلى" وعاء للهجرة، بالإضافة إلى ذلك فإن موضوع المؤامرة – يستخدم على نطاق واسع على المستوى الوطني لوصم مختلف" مناهضي الفرنسية الدولية "– تتكيف مع مطالب الحملة من أجل عدم التصديق على المعاهدة، بالنسبة لجان ماري لو بان، فإن "الأورستقراطيين" هم بأوامر من "الأوليغارشية العالمية" التي تهدف إلى تدمير الأمة، "معركة ماستريخت"، "وجهاً لوجه بين حزب الأجانب وحزب فرنسا"، يوضح بالتالي" الحرب الدائمة التي تشنها قوى وجماعات الضغط ضد الأمم".

أدت هذه المحاولة للاستفادة من جوانب عدم اليقين المتعلقة بالعواقب الاقتصادية والاجتماعية لتطبيق سياسات المجتمع المختلفة مما نتج عنها تعديل الجبهة الوطنية برنامجها وفقًا للأحداث الجارية في أوروبا وهكذا، فإن القراءة السريعة للبرنامج الانتخابي لعام 1984 تشير إلى أنه في ذلك التاريخ، عندما لم يكن الأمر يتعلق بتقوية الأطر الناظمة للمجتمع، كانت الجبهة الوطنية تؤيد "أوروبا القوية"، والتي افترضت مسبقًا العملة المشتركة والدفاع المشترك والسياسة الخارجية المشتركة. ولمحاولة تقييم مكون "أوروبا" في دعاية هذا الحزب، يجب أن نتذكر حقيقة أن الجبهة الوطنية هي قبل كل شيء واجهة للرفض، وأكثر استعدادًا للتنديد بدلاً من اقتراح سياسة متماسكة، يفسر هذا القصور العقائدي الطبيعة المتناقضة لعلاقتها مع أوروبا والاستغلال العشوائي لقوميتها المتطرفة ففي عام 1984، استلزم حماية الهوية الوطنية إعادة "بُعدها الحقيقي إلى أوروبا"؛ لكن في عام 1992، أضحت تعتبر أن إحياء الهوية الوطنية أولوية.

بين هذين التاريخين، كان العنصر الوحيد غير الملموس تمامًا هو إدانة الهجرة – وهو موضوع يحمل بشكل بارز التناقضات المتجذرة في الخطابات اليمينية (Arianne, 1992, p. 4).

من المرجح أن يختلف نوع الهوية الجماعية التي يروج لها الحزب في الغالب حسب الاعتبارات الإستراتيجية للأحزاب والميول الإيديولوجية، بالإضافة إلى الظروف السياقية المحددة التي تتنافس فيها الأحزاب، المحافظون والديمقراطيون المسيحيون هم تقليديا أكثر اهتماما بالسلامة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الوطني مما يجعلهم معارضين محتملين للاندماج الثقافي للتكامل.

الأحزاب اليمينية المتطرفة هي بشكل عام أكثر انتقادا لتكامل الاتحاد الأوروبي من التيار السياسي السائد، وان كان ذلك لأسباب مختلفة، الأحزاب اليمينية المتطرفة تؤطر معارضتها للاندماج في الاتحاد الأوروبي من حيث الدفاع عن المجتمع الوطني ضد المهاجرين والمنافسة

الاجتماعية والثقافية الناجمة عن إزالة الحدود الوطنية، وبناء على ذلك من المرجح أن تؤكد على المجتمع الوطني باعتباره الحامل الحصري للهوية الجماعية (Bergbauer, 2010, p. 11).

يسمح هذا الوقت لليمين المتطرف بتقديم نفسه على انه مدافع عن الديمقراطية الليبرالية، بينما يتبنى الخطاب المعادي للمهاجرين ويقترح سياسات اقصائية مثل الرقابة الصارمة على الحدود ورفض عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي (على الرغم من موافقة مجلس وزراء الاتحاد الأوروبي على محاولة تركيا) وحرمان المجموعات المهاجرة من المزايا الاجتماعية، كما يشير Hainsworth فإن الجاذبية الشعبوية لأحزاب اليمين المتطرف والدعم الانتخابي المتسق عبر أوروبا الغربية دفع ما كان يعتبر مجموعات هامشية إلى المشهد الرئيسي، وعلى الرغم من أن حزبا يمينيا متطرفا لم يحصل على الأغلبية الحاكمة في أي انتخابات برلمانية وطنية، فقد شكلت الأحزاب القومية والمناهضة للمهاجرين حكومات ائتلافية مع أحزاب يمين الوسط في النمسا والدنمارك وايطاليا، وأثرت ليس فقط على التوجهات الحزبية في أوربا لكن على عملية صناعة القرار.

ولتوضيح الصورة، فقد فاز الديمقراطيون السويديون وهو حزب مناهض للهجرة ب 20 مقعدا في البرلمان السويدي في انتخابات سبتمبر 2010، في البرلمان الأوروبي شكل اتحاد من مجموعات اليمين المتطرف حزبين سياسيين: مجموعة الهوية والتقاليد والسياسة (ITS) والتي تضم أعضاء من حزب الجبهة الوطنية الفرنسية (FN) و (VB) وحزب ATAKA البلغاري وحزب رومانيا الكبرى (PRM) وغيرهم.

في عام 2005 التقى ممثلون عن سبعة أحزاب يمينية متطرفة أوروبية وطوروا إعلان "فيينا" للحركات الوطنية والأحزاب في أوروبا، حيث يحدد هذا البيان مجموعة من وصفات السياسة العرقية القومية الأوروبية، ويدعوا من بين أمور أخرى إلى رفض توسع الاتحاد الأوروبي (Fligstein, ALINA, & WAYNE, 2012, p. 116).

يشير التعاون بين الجماعات اليمينية ودعم الناخبين للأحزاب اليمينية في الانتخابات البرلمانية وبناء تحالفات مع أحزاب يمين الوسط إلى التأثير المتزايد للإيديولوجية اليمينية على السياسة والهوية الأوروبية، نظرا لان التغيير يهدد كينونة الاتحاد، فإن التفكير اليميني المتطرف يبدو رجعيا للغاية، كونه يناهض انحرافات الحاضر ويمجد العصر الذهبي الأسطوري عندما كانت الهوية خالية من أي تغيير وأي تهديد بالتغيير، بعبارة أخرى، فإن الهوية الجماعية التي يولدها اليمين المتطرف هي هوية مهددة لأنه من الصعب قمع الاختلاف (الآخر) ومسيرة الزمن نحو المستقبل (التغيير).

5. خاتمة

حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على الرابط بين المفهوم العرقي للهوية الوطنية والهوية الأوروبية المطروحة في مواجهة المهاجرين غير الأوروبيين أو الأقلية المشار إليهم في الخطاب اليميني السائد بـ"الآخرين" (المنحدرين من شمال إفريقيا، المسلمون، الغجر واليهود). ويبدو أن الأزمة الهوياتية التي يمر بها الاتحاد الآن تلعب فيها مسالة المهاجرين والأقليات دورا مركزيا، نجم عنه صعود ملفت لليمين المتطرف، مع ما له من دور في تعميق هذه الأزمة (أزمة الهوية الأوروبية)، مع الإشارة إلى أن أحزاب اليمين المتطرف لا ترفض مشروع الاتحاد بالمطلق لكنها تخشى إذا تحركت أوروبا نحو نموذج البوتقة أن تنصهر فيها الهويات المختلفة بما في ذلك المهاجرون.

يتضح أن معارضة المنتمين إلى هذه التيارات هي لأشخاص المهاجرين من عرق أو مجموعة عرقية مختلفة، لذلك فإن فشل المؤسسات الأوروبية في ضبط المسائل المتعلقة بالهجرة سيؤدي إلى تعزيز الهويات المناهضة للتكامل الأوروبي ويخلق فجوة داخل الاتحاد بين دول الأعضاء في الاتحاد، ما قد يقوض مشروع التكامل برمته ويغطي على المكاسب الاقتصادية المتفاوتة التي حققها الأعضاء لحد الآن، وهو ما يقودنا إلى التوصية بمنح ثقل أكبر للمتغيرات المتمحورة حول الهوية في الدراسات التي تعنى بمستقبل مشروع التكامل الأوربي.

6. قائمة المراجع

- Arianne, C. d. (1992, automne 7). Les partis d'extrême droite et l'Europe. Cultures & Conflits.
- Bergbauer, S. (2010, 03 22_27). Political parties and the mobilisation of collective identities in European integration. Department of Political Science, Germany.
- Ciftci, S. (2012). Islamophobia and threat perceptions: explaining anti Muslim sentiment in the West. Journal of Muslim Minority Affairs.
- Cotta, M. (2017, 01 14). European identity: contemporary challenges. Department of Social, Political and Cognitive Sciences.
- DÉLOYE, Y. (1994). LA NATION ENTRE IDENTITÉ ET ALTÉRITÉ FRAGMENTS DE L'IDENTITÉ NATIONALE. L'IDENTITÉ POliTIQUE , pp. 281-293.
- DUNOD. (2017). European identity: contemporary challenges. institut francais des relation internationales.
- Fligstein, N., ALINA, P., & WAYNE, S. (2012, 03). European Integration, Nationalism and European Identity. Journal of Common Market Studies , 50 (S1).

- Golder, M. (2016, mai). Far Right Parties in Europe. Annual Review of Political Science.
- Góra, M., & Zdzisław, M. (2010). Collective Identity and Democracy The Impact of EU Enlargement. Oslo: University of Oslo: Centre for European Studies.
- Höjelid, S. (2001). EUROPEAN INTEGRATION AND THE IDEA OF EUROPEAN IDENTITY Obstacles and Possibilities. Grenoble, Sweden.
- HUYSMANS, J. (2000, december). The European Union and the Securitization of Migration. Journal of Common Market Studies , 38 (5), pp. 757-777.
- Krichen, Z. (2010). L'islam et l'Europe: les pommes de la discorde La présence de l'islam en Europe ne doit se penser ni comme une affirmation identitaire, ni comme une revanche historique. Il se doit d'être différent de celui des pays d'origine. GRAND ANGULAIRE.
- MOKRE, M. (2002, 09). Collective Identities in the enlarged European Union. ÖSTERREICHISCHE AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN , ÖSTERREICH.
- ROLLAND, P. (1994). L'IDENTITÉ EUROPÉENNE. L'identité politique, Presses universitaires de France , pp. 435-436.
- Stokkink, D. (2002). POUR UNE IDENTITÉ EUROPÉENNE FONDÉE SUR LA DIVERSITÉ. POUR LA SOLIDARITÉ - PLS.
- Torre, M. L. (1999, 01). European Identity and Citizenship.
- Yosef, D. (n.d.). Ethnicity, Identity & Nationalism. UNIVERSITY OF GONDAR DEPARTMENT OF SOCIAL ANTHROPOLOGY.